

مفاهيم القرآن

(96) حفظهم من التذبذب والتراجع إلى الوراء . و هذا الحد من الكمال لم يكن حاصلًا في فترة قصيرة، و تشهد على ذلك الأحداث والوقائع التي كشفت عن تأصل الاخلاق الجاهلية في نفوسهم وعدم تغلغل الايمان في قلوبهم، حتى أننا نجد أن القرآن يشير إلى ذلك تعليقاً على ما حدث ووقع منهم في معركة أُحُد، إذ يقول سبحانه: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْطَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْتَقِلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) . (1) ويقول أيضاً: (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) . (2) وربما يتصور أن هذه النكسات تختص بالسنين الأولى من الهجرة، ولا تختص بالسنين التي أعقبت وفاة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لانتشار الإسلام في الجزيرة العربية واعتناق خلق كثير منهم الإسلام، ولكن التاريخ يرد تلك المزعة ويثبت عدم بلوغهم الذروة في أمر القيادة بحيث تغنيهم عن نصب قائد محذك من جانبه سبحانه. وهذه هي غزوة "حنين" التي غزاها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في السنة الثامنة، وقد أُصيب المسلمون بهزيمة نكراء تركوا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في ساحة الوغى ولم ينصره سوى عدد قليل، فلمَّا رأى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ، قال: "أيها الناس هلمَّوا إليَّ أنا رسول الله"، إلى غير ذلك من الكلمات التي علّمها لعمّته العباس حتى يُجهر بها، وقد نقل القرآن الكريم إجمال تلك الهزيمة، وقال: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ) (1) آل عمران: 144. (2) آل عمران: 154.